المؤرخ أبو العباس أحمد الغبريني(644- 704هـ/ 1246- 1304م) وكتابه عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية

أ.السعيد عقبة – قسم العلوم الانسانية – جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على القيمة التاريخية لكتاب «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»، لأبي العباس أحمد الغبريني، هذا الكتاب الذي يعد مصدرا مهما ومادة علمية زاخرة للإنتاج العلمي والأدبي لبجاية خلال القرن07هـ/13م، فهو يقدم لنا صورة واضحة وصادقة عن الأوضاع الثقافية والعلمية لحاضرة بجاية، واستقطاب العلماء من مختلف الحواضر العلمية المغربية والأندلسية وحتى المشرقية.

ABSTRACT:

This study intends to shed light on the historical value of *«Unwan ad-diraya fi man urifâ min al ulama fi al mia as-sabia bi Bijaya»*, a book considered as an abundant gist for scientific and literary production in Bejaia during the thirteenth Century (AD), the seventh Century of the Hidjra.

This book provides a clear and factual depiction of the scientific and cultural conditions in metropolitan Bejaia, and of the attraction of scientists from the different

Maghreb, Andalusian and even Mideast scientific metropolises.

مقدمة:

عرفت حاضرة بجاية في العصر الوسيط حظّا وافراً من الدراسات المختلفة في المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية، فبيّنت هذه الدراسات والأبحاث مكانة بجاية ومركزها الهام في حوض البحر المتوسط، ويُعدُّ كتاب «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» من أهم المصادر التي أرّخت للحركة الفكرية بهذه الحاضرة في القرن07هـ/13م، حيث قام «الغبريني» بتوثيق النشاط الفكري للعلماء والفقهاء والأدباء في هذا الكتاب الذي يُعتبر صفحة مشرقة من التاريخ الحضاري للمغرب الأوسط في العصر الوسيط.

وتحاول هذه الدراسة التعريف بالمؤرخ «الغبريني»(ت704هـ/1304م) وبكتابه «عنوان الدراية»، حيث قمنا بتسليط الضوء على شخصية المؤلّف وأهم مراحل حياته، ثم التطرق للتعريف بهذا المصدر.

01- التعريف بالمؤرخ «الغبريني»:

أ- مولده ونشأته:

هو أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني[1] نسبة إلى بني غبرين أو بني "غبري" من القبائل البربرية في المغرب[2]، ولد ببجاية في تاريخ لم يضبطه أصحاب الطبقات أو من كتبوا سيرته الذاتية، ولم يحدده أحد من مترجميه سوى رابح بونار في تحقيقه «للعنوان»[3] وعادل نويهض[4] حيث ذكرا أن الغبريني ولد سنة(644هـ/ 1246م).

أحاط الغموض بأسرة الغبريني فلم تذكر المصادر المتداولة شيئا عن أصله ونسبه، بل كان هناك اختلاف حتى في اسم والده كما رأينا، إلا أن الغبريني عاش في بيئة علمية توارثت العلم و نبغ منها عدد من الأعلام منهم أبو النجم هلال بن يونس علي الغبريني(ت القرن07هـ/13م) [5]، ومن أفراد أسرته نجد العالم أبو القاسم أحمد بن أحمد الغبريني(ت بعد سنة770هـ/1368م) [6] ، وابنه

أحمد بن أحمد بن أحمد أبو سعيد الغبريني[7] الذي كان بارعاً في العلوم الشرعية، ومن أفراد قبيلته نجد أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني التونسي[8].

كان أبو العباس الغبريني شديدا حازما منذ صغره مجتهدا في طلب العلم وتحصيله، يصفه ابن قنفذ القسنطيني "بالفقيه المحدث الجليل الشهير الفاضل"[9].

ويقول عنه النباهي في المرقبة العليا"كان في حكمه شديدا، مهيبا"[10] ، ويصفه محمد بن مخلوف "بالعالم النحرير، والمؤلف الشهير، الفقيه المطلع الخبير"[11].

ب– ثقافته وشيوخه:

أجمعت المصادر على الإشادة بالغبريني فتحدثت عن اتساع علمه وتنوع ثقافته وإتقانه لمؤلفاته[12]، وبدأ الغبريني تعليمه كعادة أهل المغرب[13] بحفظ القرآن الكريم حفظا ورسما[14]، ودراسةً لمبادئ العلوم الشرعية والأدبية[15].

وبعد أن تقدم الغبريني في تحصيله العلمي بدأ يحضر الحلقات العلمية في العديد من المساجد، كالمسجد الأعظم ببجاية[16] وجامع الزيتونة بتونس[17].

ويذكر الغبريني أنه درس علوم الدراية ويقصد بها علم الفقه وعلم الأصلين أصول الدين وأصول الفقه، وعلوم اللغة العربية وعلم التصوف وعلم المنطق[18].

أما علوم الرواية[19] فأراد بها علوم التفسير وعلوم الحديث وعلوم الفقه وعلوم اللغة العربية، والتصوف[20]، حيث كان الغبريني يمثل موسوعة علمية شاملة، فبإطلالة على المؤلفات التي درسها الغبريني نجده درس العديد من هذه المؤلفات في شتى المجالات الدينية واللغوية والصوفية والفلسفية[21].

وتلقى الغبريني معرفته العلمية عن طريق كوكبة كبيرة من الشيوخ و العلماء ترجم لأغلبهم في كتابه عنوان الدراية حيث كان جل هؤلاء فقهاء وأدباء وصوفية، وسنعرض سريعا لأهم شيوخه الذين نهل من علومهم:

1- الشيخ أبو محمد عبد العزيز القيسي(ت القرن07هـ/13م):

قرأ عليه وحضر مجلسه وسمع عليه موطأ الإمام مالك ومختصر ابن أبي زيد القيرواني والمدونة[22].

2- الفقيه أبو العباس أحمد بن خالد المالقي(ت660هـ/1261م):

قرأ عليه المستصفى للغزالي، والإرشاد وعلم المنطق والطب[23].

3- الشيخ أبو عبد الله التميمي(ت القرن07هـ/13م):

قرأ عليه علوم اللغة العربية، وقال عنه " لازمته المدة الطويلة وما رأيت في علم العربية مثله ، وانتفعت به ما لم أنتفع بغيره، وقرأت عليه النحو واللغة والأدب والتصريف"[24].

4-الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع(ت القرن07هـ/13م):

استفاد منه في البحث والتكرار، ويرجع إليه سنده في التصوف عن أبيه عن الشيخ أبي مدين شعيب[25]، كما درس عليه بعض علوم الرواية[26].

5- الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمد الصدفي(ت القرن07هـ/13م) استفاد منه وحدثه بكتاب"أحكام القرآن"للطبري[27]، كما استفاد منه في علم الحديث النبوي الشريف.

6- الشيخ أبو عبد الله محمد بن صالح الأنصاري(ت القرن07هـ/13م):

تعلق به الغبريني كثيرا، وتتلمذ على يديه ودرس عليه عدة علوم كالعلوم الشرعية واللغوية واستفاد منه خاصة في علم الحديث النبوي الشريف، حيث أخذ عنه موطأ الإمام مالك[28].

7- الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد بن ميمون التميمي القلعي(ت القرن07هـ/13م):سمع عنه علوم اللغة العربية وحدثه بكتاب سيبويه وبكتاب الجمل للزجاجي، وكتاب ديوان الحماسة لأبي تمام[29].

8- الشيخ الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد(ت القرن07هـ/13م): سمع عنه في التصوف، وحدثه بكتاب قوت القلوب لأبي طالب محمد بن علي المكي[30].

لا شك في أن هؤلاء الأعلام ليسوا كل شيوخه وإنما هم عينة من علماء بجاية الذين درس عليهم واستفاد من علومهم.

هـ- محنته ووفاته:

لما تولى أبو البقاء خالد إمارة بجاية بعد أبيه زكريا سنة (700هـ/1300م)، حاول أن يقارب بين تونس وبجاية المهددتين بخطر بني مرين[31]، وفعلا قام بعدة محاولات في هذا المجال لكن البعض من حاشيته وأعوانه كانوا لا يرغبون في هذا التقارب، وبعث أبو البقاء بوفد إلى تونس للتصالح مع ابن عمه أبي عصيدة صاحب تونس وكان هذا الوفد يتكون من أبي زكرياء الحفصي ومن الشيخ أبي العباس الغبريني(ت704هـ/1304م) [32]، وقد قام هذا الوفد بتأدية مهمته بتونس وعاد إلى بجاية، ولكن أثناء هذه المدة عملت الوشايات مفعولها في صاحب بجاية من قبل حاشيته ورجاله الذين لم يكن في صالحهم التقارب والمصالحة بين الحاضرتين تونس وبجاية[33].

وكان المقصود من كل هذه الوشايات الغبريني ،حيث لفقت هذه الحاشية تهما باطلة ضده وقدموها للسلطان أبي البقاء خالد وتمثلت هذه التهم في:

1- تواطؤ الغبريني مع البلاط الحفصي في تونس ضد أبي البقاء في بجاية.

2- تخطيط الغبريني للثورة ضد الأمير أبي البقاء بالتواطؤ مع أبي عصيدة أمير المملكة الحفصية بتونس.

3-قامت هذه الحاشية بتذكير الأمير أبي البقاء بما حصل لأبيه زكرياء وجده أبي إسحاق في بجاية، واتهموا الغبريني بأنه هو الذي دبّر المكيدة وأغرى قبيلته بني غبرين بالقبض على أبي إسحاق، حيث قتل بأمر الدعي ابن أبي عمارة سنة (682هـ/1283م)[34].

كل هذه الوشايات والتهم جعلت الأمير أبي البقاء يقتنع بما دبر ضد الغبريني، فأمر باعتقاله سنة(704هـ/1304م) ثم أمر بقتله في سجنه في السنة نفسها[35].

02-«عنوان الدراية»،دراسة الكتاب:

أ-التعريف بالكتاب :

يعتبر كتاب "عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " أثرا علميا يكشف لنا عن ملامح الازدهار الفكري والعلمي الذي كانت تتميز به بجاية في القرن السابع الهجري/13م[36].

وكان اختيار الغبريني لعنوان كتابه"عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"[37]اختيارا موفقا، فالعنوان يعبر بدقة عن المادة العلمية التي يحتوي عليها هذا المصدر.

أما الباعث على تأليفه فقد أشار إليه المؤلف حيث قال:"وإني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات، وجعل ما بعدها مبدأ

للمسرات ،أذكر منهم من اشتهر ذكره ونبل قدره، وظهرت جلالته ، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته" [38].

وتتجلى قيمه الكتاب في مجموعة التراجم التي ذكرها الغبريني والتي تعطينا صورةً واضحة وجليّة لما كانت عليه بجاية من حركة علمية وفكرية وأدبية واسعة، ويبين في كثير من المواضع العلاقات المختلفة التي تنشأ بين أهل العلم بعضهم ببعض.

ويحتوي الكتاب على بعض الرسائل الإخوانية والسلطانية وغيرها، كما يعطينا نظرة شاملة عن الحركة الأدبية في هذا العصر، ومن ثمّة فانه لا غنى للباحث في الأدب المغربي في هذا العصر من الرجوع إلى عنوان الدراية، واستغلال مادته الأدبية[39].

أما قيمته العلمية فهي أشمل لأن الحياة العلمية والفكرية من حيث حركة التعليم والتأليف وكيفية سير الدروس ومناهج التعليم وطرق التدريس، والمقررات هي محور الكتاب بالإضافة إلى حديثه عن أماكن التدريس كالمساجد والكتاتيب والزوايا والحلقات العلمية وعن نشاط الورّاقين[40].

وتتجلى قيمته العلمية أيضا من حيث التنوع الذي نجده من خلال التراجم حيث تنوعت هذه التراجم بين اتجاهات فكرية وعلمية عديدة من فقه وتفسير وحديث وتصوف وأدب.

وإذا تجولنا بين تراجم «العنوان» نجد أن الغبريني قد وفق في ترتيب التراجم وجمعها حيث لم يقتصر على الترجمة للعلماء البجائيين، بل تعداه إلى العلماء الوافدين على هذه الحاضرة مثل الأندلسيين والمشارقة ،حيث ترجم ل:**109** شخصية علمية وفكرية جاءت على النحو الآتي :

1-تراجم البجائيين والجزائريين، وعددهم:**65** عالما.

2-تراجم العلماء الأندلسيين الذين هاجروا إلى بجاية، وعددهم:**36** عالما.

3- تراجم العلماء المشارقة الوافدين على بجاية، وعددهم:**08**[41].

ويمكن أن نصنفهم كالآتي:

- **العلوم الدينية**: وعددهم**52**عالماً.
- **التصوف**: وعددهم**19**عالماً.
- **اللغة العربية وآدابها**: وعددهم**22**عالماً.
- **التاريخ**: وعددهم**05**علماء.
- **المنطق**: وعددهم**06**علماء.
- **الطب والصيدلة**: وعددهم**04**علماء.
- **العلوم العددية**: وعددهم عالم واحد**01**[42].

وختم الغبريني كتابه بفريدة قلما نجدها في كتب التراجم أو الطبقات، فذكر في آخر «عنوانه» برنامج مشيخته، حيث أعطانا صورة واضحة عن المؤلفات التي كانت معتمدة في كل علم من العلوم، وفي هذا يقول الغبريني:"وإني أردت لما أتيت على ذكر ماشرطت ذكره من علماء هذه المائة السابعة ومن أنْضَافَ إليهم فيمن كان في آخر المائة السادسة... رأيت أن اذكر بعد ذلك طريق استفادتي مما استفدته ووجه تلقي ماتلقيته من العلم ورويته، لينتفع بذلك من له إرب وليجده منظوما كيف يريد من له عليه بحث وطلب"[43].

ب- منهج الغبريني في كتابه عنوان الدراية :

تمتع الغبريني بدرجة كبيرة من الحس التاريخي، والإدراك الشديد الواعي لما يقدمه ويعرضه أثناء ترجمته لعلماء المائة السابعة ببجاية.

ويبدأ المؤلف بذكر صاحب الترجمة في رأس موضوعه اسمه وكنيته وصفته، كما يذكر في بعض الأحيان نسبه ويتحقق من ذلك، ثم يصف حاله متعرضا لما عرف عنه من عناية بعلم أو أدب أو فقه، ويختم الترجمة بنبذة من شعر المترجم له إن كان شاعراً، ونماذجاً من حكم أو أقوال المترجم له إن وجد ذلك، ويتعرض الغبريني في بعض التراجم إلى رحلة صاحبها إن كان من الوافدين على بجاية أو من الأندلسيين الذين استقروا بها[44].

وقد رتب الغبريني تراجمه، فمعظم من ذكرهم في كتابه العنوان من العلماء الذين اشتهروا في علم من العلوم، ومنهم من تقلد الكتابة والوزارة، وبعضهم تولّى القضاء والإمامة.

ونجد أن الغبريني أخذ في مقدمة كتابه عهدا بان لا يذكر في تراجمه ما يشير إلى القدح فيهم، بل يذكر ما امتازوا به من فضائل، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "ومازلت انقد على من يذكر أهل العلم ثم يغمز في شأنهم، ويشير إلى القادح، فلا أريد إلا الخير﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾"[45].

واستعمل الغبريني في كتابه العنوان أسلوبا تميز بالقوة حيث كانت لغته سلسلة يسهل على القارئ فهمها، وعمد إلى الاستشهاد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة والأبيات الشعرية للتدليل على صحة أقواله في بعض الأحيان فهو يورد استشهاده دائما في المكان المناسب، ومثال ذلك عندما ترجم لأبي زكرياء بن أبي علي الزواوي (ت611هـ/1214م)، ذكر أن الشيخ قبل وفاته وعظ الناس وبين لهم ما أعده الله سبحانه وتعالى من سعة رحمته و أضعاف حسناته للمتقين والتجاوز عن السيئات[46]، فاستشهد الغبريني في هذا المقام بقوله تعالى﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [47].

وكثرة استشهاده بالسنة النبوية ملاحظ في كتاب «العنوان» ومثال ذلك :عند حديثه عن التوحيد في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي(ت القرن 07هـ/13م) [48]، استشهد الغبريني ببعض الأحاديث الشريفة كقوله ﷺ"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم و أموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله "[49] وقوله ﷺ"من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة"[50].

واستعمل الغبريني في عرضه لمعظم تراجمه أسلوبا تميز بالإيجاز والاختصار والتركيز، وابتعد عن السرد والاستطراد وذكر التفاصيل حيث اقتصر على ذكر الأحداث المهمة في حياة العلماء وأهم انجازاتهم العلمية والفكرية.

ولم يخرج الغبريني عن خطه الكتاب، وهو الترجمة لعلماء المائة السابعة ببجاية بالرغم من ترجمته لبعض علماء المائة السادسة كأبي مدين شعيب(ت 594هـ/1197م)[51]، وأبي علي المسيلي(ت آخر القرن السادس هـ/12م)، وأبي عبد الحق البجائي الاشبيلي(ت582هـ/1186م) وغيرهم، ولا يعتبر هذا خروجاً عن الخطة لأنه أشار في مقدمة كتابه إلى هذا الأمر وذلك لقرب هؤلاء بالمائة السابعة[52].

ج –مصادر كتاب عنوان الدراية:

توضح لنا مصادر الغبريني التي اعتمد عليها مدى ما تمتع به هذا المؤرخ من عمق وحس تاريخي، حيث تأثر بمنهج من تتلمذ عليهم من علماء الحديث، فساعده هذا المنهج على ذكر جميع مصادره في كل خبر نقله أو سمعه، وأهم ما اتصف به من حيث استخدام المصادر أنه حرص على تنوعها مما جعل من كتاب «عنوان الدراية»[53] مزيجا من المعارف والأخبار وهذا التنوع أخذ أشكالا متعددة تتضح فيما يلي:

•**أولا**:اعتمد الغبريني في نقل معلوماته وأخباره عن شيوخ ذوي تخصصات متنوعة لهم منزلة كبيرة في مجال التعليم والتأليف فنجد من بين شيوخه : الفقهاء

المحدثين والمؤرخين والصوفية والمفسرين، وغيرهم وهذا دليل على تنوع الأخبار التي تلقاها وأدرجها في كتاب «العنوان».

•**ثانيا:** أخذ الغبريني أغلب معلوماته عن شيوخ بجائيين بحكم أن الكتاب يتناول الترجمة لعلماء بجاية محل إقامته حيث أخذ عن مجموعة كبيرة من علمائها كأبي العباس أحمد بن محمد الغماز الأنصاري البلنسي(ت693هـ/1293م) [54]، حيث قال عنه الغبريني "رأيته ببجاية ولقيته بها ورأيته أيضا بتونس رؤية جيدة واستفدت من أخلاقه ومن الاطلاع على أحكامه بحضوري مجلسه ما انتفعت به كثيرا"[55].

وكمعاوية الزواوي وهو من خُدّام الشيخ أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي(ت662هـ/1263م) [56] حيث اعتمد عليه عند الترجمة لهذا الأخير قال الغبريني: "ذكر معاوية الزواوي وهو من خدامه قال جئت يوما لأراه فلما وقفت عند باب الزاوية، أصابتني هيبة وسمعت كلاما بداخلها..." [57].

•**ثالثا:** استقى الغبريني معلوماته أيضا عن طريق الاطلاع على السجلات الرسمية في الدواوين، فيقول مثلا عند حديثه عن تولي أبي تميم ميمون بن خلفون البردوي[58] للقضاء ببجاية "وولي أبو تميم المذكور قضاء بجاية مدة قليلة، وقد رأيت التسجيل عليه في بعض كتب القضاء الكائنة بمودع بجاية حرسها الله"[59].

•**رابعا:** اعتمد الغبريني أيضا في توثيق معلوماته على الوثائق[60] التي احتفظ بها أهلها، فيقول عند حديثه عن أبي زكرياء يحي بن علي المهداني(ت القرن 07هـ/13م)، والفقيه أبو محمد عبد الحق(ت القرن 07هـ/13م):"...وما يوجد من وثائقهما وكتبهما يدل على تحصيلهما وفضلهما"[61]، وكحديثه عن أبي محمد عبد الحق الاشبيلي(ت582هـ/1186م) [62]حيث قال:"وجلس للوثيقة والشهادة وولي قضاء بجاية مدة قليلة، ولم يشتهر ذلك من أمره، ولا اطلعت على ذلك إلا من رسوم وجدتها مسجلا عليه فيها"[63]، وعند حديثه عن وفاة الشيخ أبي زكرياء الزواوي(ت611هـ/1214م) [64]يقول الغبريني:"لقد رأيت فصلاً فيه ذكر وفاته بخط الشيخ المقرئ أبي العباس بن الخراط، وأنا أذكره بنصه ..."[65].

ويقول عن أبي محمد عبد الحق الأزدي الاشبيلي(ت 628 هـ/1230م):"ورأيت له برنامجا ذكر فيه شيوخه و مقروءاته من الكتب يشتمل على مائتين كتابا واثنين وعشرين كتابا كلها مسندة إلى مؤلفيها ..."[66].

ويقول عند حديثه عن الشيخ أبي الخطاب بن دحية الكلبي"ورأيت من كلامه كثيرا في رسائل ومخاطبات..." [67].

•**خامسا:** حصل الغبريني على معلوماته أيضا عن طريق المشاهدة، فعند كلامه عن شيخه أبي محمد عبد الحق بن ربيع الأنصاري (ت 675هـ/1276م) سجل مشاهدته لخطه بقوله:"كان ابن مقلة زمانه، له خطوط جميلة وهو في كل واحد منها ابن مقلة زمانه، كان يكتب الشرقي و الغربي على فنون من ريحاني وتحساني، وديواني وغير ذلك من أنواعه..." [68].

ويشير إلى مشاهدته بقوله:"شاهدت" أو "شاهدتها"، كقوله عند الحديث عن شيخه أبي العباس أحمد بن عيسى الغماري(ت682هـ/1283م) [69]:"حضرت دروسه وشاهدتها"[70]، أو كوصفه لشيخه أبي القاسم بن زيتون(ت 691هـ/1291م) [71]، حيث قال عنه:"وكان من أجمل الناس منظرا"[72]، وكقوله عن أبي بكر محمد بن سليمان الزهري البلنسي (ت655 هـ/1257م) [73]:"ورأيت له خطباً في عقود النكاح حسنة...وجميع ما طالعته من الكتب التي يوجد عليها خطه في غاية الجودة، وقد رأيت له هذا في فنون كثيرة من الفقه و الحديث والأدب واللغة "[74].

•**سادسا:** أخذ الغبريني مادة كتابه «العنوان» أيضا عن طريق الإطلاع على الكتب والمدونات التي صنفها أصحابها،كقوله مثلا: "ورأيت في فهرست أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني..." [75]، وكحديثه عن أبي علي حسن بن علي بن محمد المسيلي(ت آخر القرن 06 هـ/12م):"...له التذكرة في أصول علوم الدين، وهو كتاب حسن طالعته، وكررت النظر فيه، فرأيته من أجلّ الموضوعات في هذا الفن..."[76].

وكقوله عن شيخه أبي زكرياء يحي بن محجوبة القرشي السطيفي (ت677هـ/1278م) [77]:" ورأيت له تأليفا حسنا في شرح أسماء الله الحسنى"[78].

وكوصفه لتأليف«الوافي» في علم الفرائض للشيخ أبي الحسن علي الحرالي التجيبي[79]، حيث قال عنه: "ما رأيت مثله في ذلك الفن لأنه أعطى الفرائض مفصلة معللة بأخصر بيان"[80].

•**سابعا:** أخذ الغبريني مادته العلمية أيضا عن طريق الاستعانة ببقايا النقوش الأثرية، كالكتابات على القبور حيث استفاد منها في تحديد تواريخ وفيات بعض علماء بجاية، كقوله مثلا عند حديثه عن الشيخ أبي محمد عبد الحق الأشبيلي(510-582هـ/1116-1186م) [81]، "وكان تاريخ وفاته مكتوبا في رخامة عند قبره"[82].

وكذكره لتاريخ وفاة شيخه أبي محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد الأنصاري(ت 675هـ/1276م) [83] حيث قال :"توفي رحمه الله في الثامن والعشرين لربيع الأول من عام خمسة وسبعين وستمائة ودفن في خارج باب المرسى، ...وتاريخ وفاته في رخامة وضعت لحدا على قبره"[84].

•**ثامنا:** اعتمد الغبريني في نقل مروياته كذلك عن طريق المشافهة والسماع على أشهر شيوخ عصره، واستعمل الألفاظ والمصطلحات الدالة على ذلك فكان يسبق اسم محدثه بقوله:"سمعت عن الفقيه..." [85]، أو يقول:"أخبرني غير واحد"[86]، وتمثل الروايات التي أخذها الغبريني عن طريق المشافهة والسماع معظم مصادر الكتاب.

وقد حرص الغبريني في رواية أخباره في كتابه عنوان الدراية على اتباع طريقة المحدثين في ذكر أسانيد الروايات، حيث استعمل الإسناد بطرق مختلفة، جاءت على النحو الآتي:

01- استعمل الغبريني المسند الموصول، كقوله:"أخبرني الشيخ أبو محمد عبد الحق بن ربيع عن الفقيه أبي الزهر ربيع..."[87].

أو كقوله:"حدثنا أبو العباس بن خضر عن الخطيب أبي بكر بن سيد الناس عن أبي العباس ابن مقدام عن الحافظ أبي بكر بن العربي..."[88].

02- استعمل الغبريني أحيانا المسند المقطوع، فكان يورد اسم الشيخ الذي أخذ عنه دون ذكر سلسلة إسناده كقوله:"أخبرنا شيخنا أبو محمد عبد الحق عمن أخبره أن الشيخ أبا علي المسيلي كان يأتي إلى الجامع الأعظم في الثلث الأخير من الليل للتهجد"[89]، أو كقوله:" أخبرني شيخنا الفقيه أبو محمد عبد العزيز..." [90].

03- استعمل الغبريني الإسناد إلى مجاهيل، فكان يسند أخباره ومروياته إلى رواة سمع منهم دون ذكر أسمائهم، كقوله:" أخبرني بعض الأصحاب أن بعض الطلبة وقع بينهم نزاع في بعض الأحاديث المروية عن النبي ﷺ"[91]، أو كقوله:"أخبرني بعض من وثقت بهم"[92]، أو"ما سمعت عن غير واحد ممن أثق به..." [93].

04- بالرغم من أن الغبريني حرص على توثيق أغلب رواياته وذلك بذكر الرواة في سلسلة الإسناد، إلا أن بعض الروايات وردت لديه في كتاب «العنوان» بدون إسناد، حيث يسبقها بكلمة"يقال" أو"ذُكر لي"، كقوله:"ويقال أنها بعثت بهما إلى ابن الفكون"(ت القرن07هـ/13م) [94]، أو كقوله عند حديثه عن الشيخ أبي محمد عطية الله بن منصور الزواوي(ت القرن07هـ/13م):" وذكر لي أن اسمه الذي يسمى به لم يكن عطية الله..."[95].

الخاتمة:

يتضح مما سبق أن كتاب «عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»، لأبي العباس أحمد الغبريني(ت704هـ/1304م) يعتبر أهم مصدر أرَّخَ للحياة الفكرية والعلمية ببجاية خلال القرن07هـ/13م، حيث كشف فيه مؤلفه ما كان خافياً من تاريخ هذه الحاضرة في الجوانب العلمية والفكرية، فكانت من أبرز حواضر المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

الملاحق:

الملحق(01): العلماء الذين ترجم لهم الغبريني ونسب تمثيلهم في مختلف العلوم،حسب أصولهم.

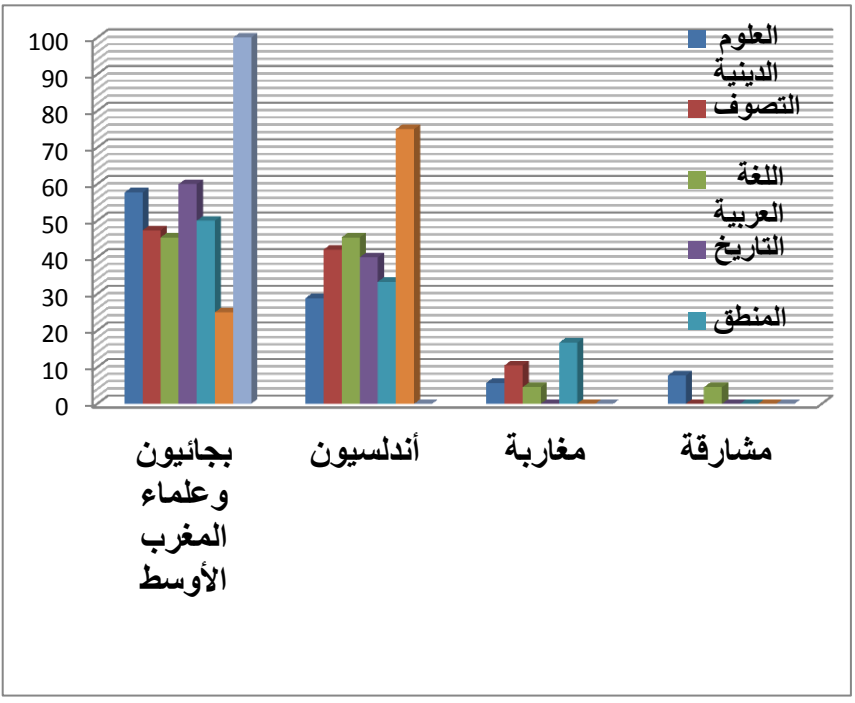

الملحق(02): توزيع العلماء الذين ترجم لهم الغبريني على مختلف العلوم.

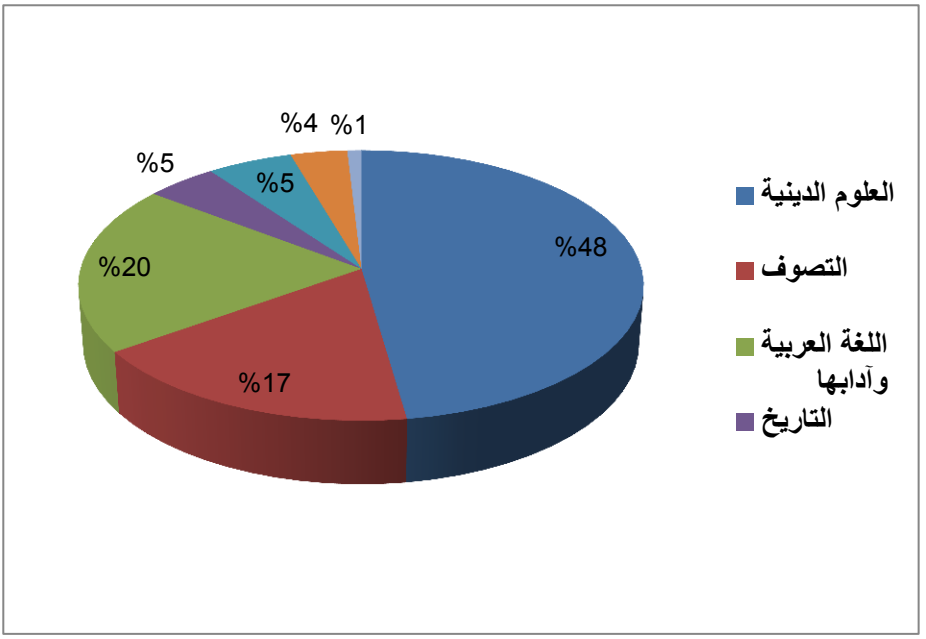

الهوامش:

(1) اختلف المترجمون للغبريني في اسم والده فمنهم من يذكره أحمد بن محمد، ومنهم من يقول أنه :أحمد بن أحمد، فمن الذين رجحوا الرأي الأول :ابن قنفذ القسنطيني :كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض،ط3، دار الآفاق الجديدة، بيروت،1980م،ص338؛ النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا، دط، المكتب التجاري ، بيروت، دت، ص132؛ الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف ،ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص25، ومن الذين اختاروا الرأي الثاني وهو أحمد بن أحمد:محمد بن مخلوف:شجرة النور الزكية في

طبقات المالكية،دط، دار الفكر، دمشق،دت،ص215؛ابن فرحون:الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،2003،ج01، ص221؛الزر كلي: خير الدين، الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ج01،ص10؛عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط02، مؤسسة نويهض للثقافة والتأليف،بيروت،1983، ص248، ورابح بونار في مقدمة تحقيقه لكتاب العنوان ص:12.

(2) الغبريني:عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية(مقدمة المحقق رابح بونار)، ط02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981،ص23؛الزر كلي،الأعلام، ج01،ص90.

(3) المصدر نفسه،ص04.

(4) معجم أعلام الجزائر،ص248.

(5) الغبريني: عنوان الدراية، ص23.

(6) الغبريني:المصدر نفسه،ص23؛ القرافي: بدر الدين محمد، توشيح الديباج وحلية الابتهاج،تحقيق علي عمر،ط01، مكتبة الثقافة، 2004،ص47؛ محمد بن مخلوف :شجرة النور الزكية، دط،دار الفكر، بيروت،ج01،ص224.

(7)الغبريني:المصدر نفسه،ص23؛القرافي:توشيح الديباج وحلية الابتهاج،ص47؛ محمد بن مخلوف :شجرة النور الزكية،ص224.

(8)الغبريني،المصدر نفسه،ص23؛ محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية،ج01،ص243؛ التنبكتي: أحمد بابا،نيل الابتهاج و تطريز الديباج،ط1،كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس،1989،ص104.

(9) ابن قنفذ:الوفيات، ص339.

(10) النباهي: المرقبة العليا،ص132.

(11) محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص215.

(12) انظر:ابن قنفذ القسنطيني،الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق:محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي ،دط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968،ص31؛ النباهي: المرقبة العليا، ص132.

(13) يقول ابن خلدون:"أما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط،وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله " المقدمة، دط ، دار الجيل، بيروت،دت،ص594.

(14) الغبريني: عنوان الدراية،ص 24.

(15) المصدر نفسه،ص24.

(16) نفسه،ص25.

(17) نفسه، ص25.

(18) نفسه، ص307.

(19) علوم الدراية تعتمد على الاستنباط والنظر، أما علوم الرواية فتعتمد على الرواية والسماع.

(20) الغبريني: عنوان الدراية،ص ص309،323.

(21) المصدر نفسه،ص ص307،323.

(22) نفسه، ص ص307-311.

(23) Lucien Leclerc: Histoire De La Médecine Arabe, Tom:01,Imprimerie De Fedala,Mohammedia,Marok,1980,p252.

(24) الغبريني :المصدر نفسه،ص308.

(25) نفسه، ص309.

(26) نفسه، ص309.

(27) نفسه، ص310.

(28) نفسه، ص311.

(29) نفسه، ص319.

(30) نفسه، ص321.

(31) ابن خلدون:العبر، ج6، ص316.

(32) محمد العروسي المطوي:السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1986،ص293.

(33) محمد العروسي المطوي،المرجع السابق، ص294

(34) ابن خلدون:العبر، ج6، ص316.

(35) يذكر ابن خلدون أن الذي دبر المؤامرة ضد الغبريني هو ظافر الكبير، وكان أحد المحظوظين في البلاط الحفصي ببجاية، وأن الذي قتله يسمى منصور التركي.العبر، ج6،ص294.

(36) اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيس مدينة بجاية حيث يرى صالح بعيزيق أن تاريخ (460هـ/1067م) هو تاريخ تأسيس المدينة لعدة اعتبارات، منها أن أغلب المؤرخين أخذوا تاريخ (457هـ/1064م) عن بعضهم البعض، فلربما نقل ياقوت وابن الأثير الواحد عن الآخر، لاسيما أنهما عاشا في نفس الفترة كما أنه لا يمكن للناصر أن يؤسس مدينة بجاية، في نفس السنة التي انهزم فيها في معركة سبيبة، إذ أنه مازال يعاني من تبعات ونتائج هذه المعركة، التي تكبد فيها خسائر فادحة من طرف بني هلال.صالح بعيزيق :بجاية في العهد الحفصي ،دراسة اقتصادية واجتماعية ،منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 2006، ص 53، إلا أن الراجح في هذه المسألة ما ذهب إليه الدكتور عمارة علاوة من أن بداية بناء بجاية و تشييدها قد بدأت سنة (457هـ/ 1064م) وانتهت في (460هـ/ 1067م).للتفصيل أكثر في هذا الموضوع يُنظر:

Allaoua AMARA: pouvoir économie et société dans le Maghreb Hammadide (395/1004 – 547/1152), thèse de doctorat, université paris-1, Sorbonne, 2002, vol.1, P141.

(37) لم يذكر أحد ممن ترجم للغبريني أو تحدث عن سيرته أن لهذا الأخير غير هذا التأليف سوى القرافي حيث ذكر للغبريني تآليف أخرى مثل"الأربعون المسماة بالمورد الأصفى"،وكتاب "الفصول الجامعة".القرافي:توشيح الديباج، ص47.

(38) الغبريني:عنوان الدراية،ص55.

(39) المصدر نفسه،ص79.

(40) احتل الوراقون مكانة رفيعة في المجتمع البجائي، حتى أن الأمراء والسلاطين في بجاية كانوا يعظمون أصحاب هذه المهنة ،انظر الغبريني:المصدر نفسه،ص240.

(41) يُنظر الملحق رقم:01.

(42) يُنظر الملحق رقم:02.

(43) من العلماء الأندلسيين الذين ذكرهم الغبريني وترجم لهم:أبو العباس أحمد بن خالد المالقي،وأبو عثمان سعيد بن علي الأنصاري البلنسي وغيرهم، ومن المشارقة الذين ترجم لهم:تقي الدين الموصلي، وعبد الجبار بن أبي البركات الطرابلسي.

(44)عرفت بجاية توافد الكثير من العلماء من مختلف الحواضر الأندلسية وحتى المشرقية، كما شد طلاب العلم رحالهم إلى مختلف الأقطار والحواضر قصد الاستزادة في العلوم والرغبة في ملاقاة العلماء والأخذ عنهم، والاستفادة من مناهجهم في التعليم للتفصيل يُنظر:

Urvoy.(Dominique):la structuration du monde des ulémas à bougie au VII /XIII siècle, Dans studia islamic, XLIII(1976), p99.

(45) سورة هود، الآية 88.

(46) الغبريني:عنوان الدراية،ص137.

(47) سورة الكهف، الآية:30.

(48) ترجم له الغبريني،ص132.

(49)رواه الإمام مسلم في صحيحه،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دط،دار إحياء الكتب العربية،بيروت، ج01،حديث رقم:33،ص52.

(50)رواه الإمام مسلم، المصدر السابق، ص55.

(51)ولد أبو مدين شعيب سنة 520هـ/1126م بحصن قطانية في اشبيلية حيث نشأ يتيما، بدأ رحلته العلمية بعد مغادرته للأندلس، أين استقر بالعديد من الحواضر المغربية كطنجة وسبتة ومراكش وفاس وتلمسان وبجاية، هذه الأخيرة التي استقر فيها لعدة سنوات، فدرّس التصوف من مصادره الرئيسية كالرعاية للمحاسبي، وإحياء علوم الدين للغزالي، وغيرها من المصنفات الصوفية الأخرى، فكان يُلقي دروسه بالجامع الأعظم وغيره من مساجد بجاية.للتفصيل يُنظر: ابن قنفد القسنطيني:انس الفقير وعز الحقير، نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب بالرباط، 1965، ص13؛أبو القاسم بلعربية:الشيخ أبو مدين،محاضرات ودراسات عن الحياة الروحية في الإسلام،ملتقيات الفكر الإسلامي،منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،2005،ص807؛ Emile Dermenghem: Vies des Saints musulmans, L'impremerie Darantier du dyan, 1988,p250.

(52) الغبريني:عنوان الدراية،ص55.

(53) يعتبر كتاب «عنوان الدراية» من الكتب التي تدخل ضمن"التأريخ المحلي"الذي يهتم بالتأريخ لمنطقة معينة، وهذا النوع من الكتابة تعبير صادق عن ارتباط المؤرخ بإقليمه واعتزازه بوطنه.

(54) ترجم له الغبريني:عنوان الدراية،ص129.

(55) الغبريني:المصدر نفسه، ص130.

(56) ترجم له الغبريني:المصدر نفسه، ص161.

(57) المصدر نفسه،ص163.

(58) ترجم له الغبريني:عنوان الدراية،ص183.

(59) المصدر نفسه،ص183.

(60) تعتبر الوثائق من المصادر المهمة لتأريخ الأحداث وتتمثل في الرسائل الصادرة من ديوان الإنشاء في الحاضرة إلى الولايات، أو الأقاليم التابعة للحكومة المركزية، والمنشورات والسجلات والأحكام والفتاوى والنصوص والمعاهدات، وعقود البيع والشراء وغير ذلك وتصدر هذه الوثائق عن الدواوين، كديوان الرسائل الذي كان يتولى تنفيذ الأوامر الصادرة عن الخلفاء والسلاطين، وكالرسائل السلطانية والأحكام والمعاهدات التي تكون بين الدول.السيد عبد العزيز سالم :التاريخ والمؤرخون العرب،دط،دار النهضة العربية،1981،ص133؛قاسم يزبك:التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت ،1990،ص53

(61) الغبريني:عنوان الدراية،ص221.

(62) الغبريني:المصدر نفسه،ص73.

(63) نفسه، ص73.

(64) نفسه، ص135.

(65) نفسه، ص136.

(66) نفسه، ص193.

(67) نفسه، ص229.

(68) الغبريني:عنوان الدراية،ص86.

(69) المصدر نفسه،ص112.

(70) نفسه،ص112.

(71) نفسه،ص114.

(72) نفسه،ص114.

(73) نفسه،ص241.

(74) نفسه،ص242.

(75) نفسه،ص61.

(76) نفسه،ص66؛ Cherbonneau: Aicha , poète de Bougie au 7 ème ciècle de l'hégire , la Revue Africaine , Année(04) , (1859-1860) O.P.U. Alger, 1985, p.p 34, 35.

(77)الغبريني:المصدر السابق،ص119.

(78)المصدر نفسه،ص120.

(79)نفسه،ص145.

(80)نفسه، ص148.

(81)نفسه،ص73.

(82) نفسه،ص75.

(83) نفسه،ص85.

(84) نفسه،ص89.

(85) نفسه،ص87.

(86) نفسه،ص142.

(87) نفسه،ص58.

(88) نفسه،ص109.

(89) نفسه،ص67.

(90) نفسه،ص147.

(91) نفسه،ص58.

(92) نفسه،ص134.

(93) نفسه،ص152.

(94) نفسه،ص79.

(95) نفسه،ص141.